﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: 71]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد أنِ اتَّفقَ موسى والخَضِر ﷺ بعد المحاورة التي كانت بينهما، ووُضعتِ الشُّروط المناسبة على ألّا يَسألَ موسى ﷺ عن شيءٍ حتى يسمعَ استيضاحَه من الخَضِرِ، أعقبَ البيانُ القرآنيُّ ذلك بأنّهما انطلقا إلى السّاحلِ يطلبان سفينةً يركبان فيها فقال: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾[1].

بعد أنْ تمَّ بينهُما الاتِّفاقُ كانتْ بدايةُ الانطلاقِ في السّفينة المُخرَّقة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: أصلُ (طلق) يَدُلُّ على التَّخْليَةِ والإرْسالِ، يُقالُ: انْطَلَقَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ انْطِلاقًا[2]؛ أيْ: ذهب، والانْطِلاقُ: سُرعَةُ الذَّهابِ، وطَلُقَ الرَّجلُ، بالضَّمِّ طَلاقةً: فهوَ طَلْقٌ؛ أَيْ: مُسْتَبْشِرٌ مُنْبَسِطُ الوَجْه مُتَهَلِّلُه[3]، وانطلقَ في الكلام: تدفّقَ في الحديث، وانطلقَ لسانُه: تكلّمَ من غير تعثُّر[4]، ومعنى ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: سارا مُنطلقيْن فرحيْن بهذه الصحبة[5].

2) ﴿خَرَقَهَاۖ﴾: أصل (خرق) هو مَزْقُ الشَّيْءِ وجَوْبُهُ، والخَرْقُ: نَقيضُ الرِّفْقِ[6]، الخَرْق: الفُرجة، والخَرْقُ: الشَّقُّ في الحائِطِ والثَّوْبِ وغيره، وخرقَ الأَرض يخرِقها: قَطَعَها حَتَّى بَلَغَ أَقْصاها[7]، والمُراد بالخَرْق في الآية: النَّقبُ والثَّقبُ والشَّقُّ، ضدّ الالتئام[8].

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 110.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طلق).
(3) ابن سيدَه، المُحْكَم، وابن منظور، لسان العرب: (طلق).
(4) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طلق).
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4561.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرق).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (خرق).
(8) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 498، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.

3) ﴿إِمۡرًا﴾: الإمر: الأمرُ العظيمُ الشنيعُ، وقيل: المُنْكَرُ العَجيبُ، وأَمِرَ الشَّيءُ إذا اشتدَّ، وأَمِرَ الشَّيْءُ؛ أَيْ: كَثُرَ وتزايدَ وعظُمَ، والأمارةُ: العلامةُ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا﴾؛ أيْ: شيئًا داهيًا مُنكرًا عجبًا[1]، والمعنى: لقد جئتَ شيئًا عظيمًا مُنكَرًا عجبًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خـرقُ السَّفينة واستـغـراب مـوسى منـه باعتباره مُنكرًا وعجيبًا

يقول تعالى ذِكْره: فانطلقَ موسى والعبد الصّالح العالم يسيران يطلبان سفينةً يركبانها، حتى إذا أصاباها ركبا في السفينة، فلمّا ركباها خرقَ العالمُ السفينة، فقال له موسى: أخرقتَها بعد ما لَجَجنا في البحر؛ لتُغرِقَ أَهلَها، لقد جئتَ شيئًا عظيمًا، وفعلتَ فعلًا مُنْكرًا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاءِ في قوله ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ وبلاغةُ العطفِ:

سرعة الانطلاقِ في رحلةِ العِلمِ وبيان الشروعِ فيها بخوارق مُستغرَبة

جاءتِ الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ على ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنّها عاطفة؛ وتفيد ثلاثة أمور: التَّرتيب والتَّعقيب؛ أيْ أنَّهما عقبَ أخذِ هذه المواثيق انطلقا فور ذلك الاتِّفاق[4]، والسَّببيَّة؛ أي إنّ انطلاقَهما كان بسببِ اتفاقِهما على شروطٍ ومواثيقَ التزما بها[5]؛ أيْ "لمّا تشارطا وتراضيا على الشّرط سبَّبَ قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾"[6].

الثّاني: أنّها فصيحة، لكونها أَفصحتْ عن جوابِ شرطٍ مُقدَّرٍ، تقديرُهُ: إذا عرفْتَ ما تَقاوَلا، وأردْتَ بيانَ حالِهما بعد ذلك فأقولُ لك: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾[7].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (أمر).
(2) البَغَوي، معالم التنزيل: 3/ 206، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 735.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 72.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 374، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4561.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 132.
(6) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 110.
(7) الهَرَري، حدائق الرّوح والرّيحان: 16/ 454.

الثّالث: استئنافيّةٌ؛ والجملة مستأنفةٌ مسوقةٌ للشّروع في الأمور الثلاثة التي خفيتْ بواطنها عن موسى وبدتْ له ظواهرها مُستنكَرَة[1]؛ أيْ للشروع في محطّة جديدة من هذه القصّة.

سَّر التّعبير بقوله ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ دون (فانْطَلَقوا):

في الاستغناءِ عن ذِكْرِ التّابِعِ تركيزٌ على حالِ المتبوعِ مع الخَضِر

جاء النّصُّ القرآنيُّ بصيغةِ المُثّنى ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ الذي يدلّ على موسى والخَضِر فقط، ولم يأتِ بصيغةِ الجمعِ مع أنَّ فتى موسى قد صحِبهما بدليلِ ما جاء في الحديث: "مرَّت بهم سفينةٌ فكلَّموهم أنْ يَحملوهم فعرفوا الخَضِرَ فحمَلوه بغير نَوْل"[2]، فجاء بواو الجماعة ليدُلَّ على أنَّهم كانوا جماعة[3]؛ وذلك للاقتصار على ذِكْرِ المتبوعِ دونَ التّابعِ[4]، على اعتبارِ أنّ التّابع تابع[5]؛ لأنّ غرض القصّة هو ما حدثَ بين موسى والخَضِرِ، وذِكرُ ما كان بينهما، وأمّا فتى موسى معه فهو تَبَعٌ.

ويحتملُ أنْ يكونَ فتى موسى (يوْشَعُ) تأخَّر عنهما، وأنَّ موسى صَرَفه ورَدَّه إلى بَني إسرائيلَ؛ لأنَّ المذكورَ انطلاقُ اثنيْنِ[6].

نكتة استعمال ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾:

بَيانُ غايةِ انْطلاقِهما بركوبِ السَّفينةِ المذكورة

جاءتْ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾ ابتدائيَّة؛ أي ابتدأ بعدها بجملة مُستأنَفةٍ، وهي كذلك حرفٌ لانتهاء الغاية كـ(إلى) جاءتْ للدّلالةِ على المستقبلِ بإفادةِ غاية الانطلاق؛ أيْ: فانطلقا إلى أنْ ركبا في السَّفينة؛ أيْ: جعلا ركوبهما السّفينة

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 7.

(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: 60]، رقم الحديث: (4725).

(3) حقي، روح البيان: 5/ 277.

(4) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 554.

(5) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 328، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 206.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 206، وحقي، روح البيان: 5/ 277، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 554.

غايةً لانطلاقهما، وفي الكلام إيجازٌ دلَّ عليه قوله: ﴿إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾، وتقدير الكلام: انطلقا حتى استأجرا سفينةً فركباها فلمّا ركبا في السَّفينة خرقها[1].

سرُّ التَّعبير بـ﴿إِذَا﴾ دون (إن):

تغْليبُ الظَّرفيَّةِ مفيدٌ لتحديد المطلوب وبيانه

عبَّر النَّص القرآنيّ بـ﴿إِذَا﴾ دون (إن)، في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾؛ إمّا لأنَّ ﴿إِذَا﴾ ظرف للزَّمان الماضي هنا، وليستْ مُتضمِّنةً معنى الشَّرط، فآذن ذلك بأنَّ الخَضِرَ أخذَ في خرقِ السَّفينة وقت ركوبهما، فدل ذلك على أنّ الركوبَ فيها كان لأجلِ خرقها؛ لأنّ الشيءَ المقصود يُبادرُ به قاصده، فهو قد دبّره وارْتآه من قبل[2]، وبهذا يظهرُ لنا أنّ القرآن لم يستعملْ (إنْ)؛ لكون (إنْ) تأتي للشّرطيَّة، وليس فيها معنى الظّرفيَّة، بخلاف ﴿إِذَا﴾ فقد تأتي في معنى الشرط، وقد لا تأتي بمعنى الشّرط، وإنّما للظّرفيَّة الزّمانيَّة.

أو أنْ تكون ﴿إِذَا﴾ شرطيّة[3]، وبهذا يكون استعمالُ ﴿إِذَا﴾ التي تختصُّ بدخولها على المُتيَقَّن والمظنون والكثيرِ الوقوع، دون (إنْ) التي تُستعملُ في المشكوكِ والموهوم النّادر[4] أنسبَ للمقام؛ إذ إنّ خرقَ الخَضِر للسفينة أمرٌ مُشاهَدٌ مُتيقَّنٌ.

دلالة التَّعبير بفعل الرُّكوب ومجيئه ماضيًا:

تحقُّقُ الدُّخولِ في السَّفينةِ والاستقرارِ فيها من بيان السّياق

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بفعل ﴿رَكِبَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾؛ لأنَّ معنى الرُّكوب العلوُّ على شيءٍ[5] له حركة، إمّا إراديّةٌ كالحيوان، أو قسريةٌ كالسَّفينة والعجلة ونحوهما، فإذا استُعملَ في الأوّل توفّرَ له حظُّ الأصل، فيُقال: ركبتُ الفَرَس،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 374.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 736، درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 7.
(4) السيوطي، الإتقان: 2/ 178.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركب).

وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا﴾ [النّحل: 8]، وإن استُعملَ في الثّاني يلوّح بمحليَّة المفعول بكلمة ﴿فِي﴾، فيُقال: ركبتُ في السَّفينة، وظاهره أنّ الركوبَ ها هنا حقيقيٌّ، وصرّح بعضهم بأنّه ليس بحقيقيٍّ[1]، أو ضُمّنَ الرّكوبُ معنى الدُّخول؛ لأنَّه ركوبٌ مَجازيٌّ، وإنَّما هو جلوسٌ واستقرار، فلا يُقال: ركِبَ السّفينة[2].

وعلى كلا المعنيَيْن للرّكوب يكون البيانُ القرآنيّ قد آثرَ لفظ الرّكوب لمناسبةِ المقام؛ وهو الركوب على سفينةٍ لها حركة، بخلاف ما لو عبّر بالدّخول.

وجاء فعل ﴿رَكِبَا﴾ بصيغة الماضي دون المضارع؛ للدّلالة على تحقّقِ وقوعه؛ أيّ وقوع فعل الرّكوب منهما باعتبارِ أنّ الّذي يقصّ القصّة، وينقلُ الوقائع إنَّما هو القرآن، حيث يقصُّ أحداثها التي مضتْ وانقضتْ.

معنى حرف الجرّ ﴿فِي﴾:

المبالغةُ في الدّلالةِ على الاستقرارِ والتّمكُّنِ من السّفينة

عدّى القرآن الكريم فعل الركوب في قوله تعالى: ﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ بحرف الجرّ ﴿فِي﴾، فلم يَقُلْ (ركبا السفينة)؛ إمّا لأنّه ضمّن الرُّكوبَ معنى الدخول، فهو ركوبٌ مجازيٌّ[3]؛ إذْ هو جلوسٌ واستقرار، فلا يُقال: ركبَ السفينة[4]، أو لأنّه - عند مَن عدّ الركوبَ حقيقيًّا - أرادَ إفادةَ المبالغةِ في الدّلالة على الاستعلاءِ والاستقرارِ والتّمكُّن بالعدول عن حرف الاستعلاء (على) إلى حرف الوعاء ﴿فِي﴾؛ لأنّ حرفَ الوعاء أقعدُ وأمكنُ من حرف الاستعلاء الذي قد يُشعر بالاستعلاءِ من غير تمكّنٍ واستقرارٍ،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/ 254.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375، وابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 292.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 73.

وأمّا ﴿فِي﴾ فتُشعر ها هنا بالاستقرارِ والتّمكّن، ومن حقّ ما يكون مستقِرًا فيه مُتمكِّنًا أنْ يكون مُستعليًا له، فلمّا كانت تؤذنُ بالمعنيَيْن جميعًا آثَرَها وعدلَ إليها[1].

سرُّ التَّعريف بـ (أل) في لفظ ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾:

زيادةُ الاستغرابِ والإنكارِ من موسى لفعلِ الخَضِرِ الصّادم

(أل) التّعريف في ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ للعهد الذهني الذي أشارَ إليه السّياق بذِكْر مَجْمَع البحرَيْن، وأنَّ انطلاقَهما كان لطلبِ سفينة، فكانتْ لذلك كأنّها مُستحضرةٌ في الذِّهن[2]، لأنّ قوله: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: 79] يدلُّ على أنّها معروفةٌ عند الخَضِر.

وفي كونها عهديَّةً زيادةُ استغرابٍ وإنكارٍ من موسى ﷺ لما فعلهُ الخَضِرُ بسفينةٍ معلومةٍ لديه، فقد أكرمه أصحابُها بالركوبِ من غير نولٍ لكونهم يعرفونه كما ورد في الحديث: "فعرفوا الخَضِرَ؛ فحملوه بغير نول"[3].

ويرى بعض المُفسّرين أنّ اللّامَ هنا لتعريفِ الجنس؛ إذ لم يتقدّم عهدٌ في سفينةٍ مخصوصة[4].

حقيقةُ الخرقِ وسرُّ التّعبير بالفعل ﴿خَرَقَهَا﴾:

خَرْقٌ في ظاهرِه فسادٌ وفي باطنِه حمايةٌ وصلاحٌ

حقيقةُ الخرقِ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ يظهر أنَّه خرقٌ لم يضر السفينة؛ ولذلك لم يَغرقْ من أهلها أحدٌ[5]، وتحقّقَ المقصودُ من خلال هذا الخرق؛ وهو صرفُ الملكِ عن السَّفينةِ لوجودِ عيبٍ فيها.

ولهذا عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿خَرَقَهَا﴾ دون غيره، فلم يَقُل:

(1) المؤيد بالله العَلَويّ، الطِّراز: 2/ 32.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 111.
(3) جزء من حديث رواه البخاري، رقم: (4725).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 206، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 315.
(5) تفسير ابن عرفة: 3/ 96، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.

(أفسدها)؛ لأنّ أصلَ الخرقِ هو مَزقُ الشَّيءِ وجَوبُهُ[1]، وهو فعلٌ يؤدّي إلى الفساد غالبًا، ولا يعني تحقّقَ الفساد، بل قد يكون عينَ الإصلاحِ، بينما الفسادُ أصله نَقيضُ الصَّلاحِ، والفسادُ: خروجُ الشيءِ عن حالِ استقامته وكونه مُنْتفعًا به، وذهابُ نفعه المقصود منه؛ أيّ: تلفه وهلاكه[2]، كما أنّ الخرقَ نَقيضُ الرِّفْقِ[3]، وهذه المعاني للخرقِ تتناسبُ مع حالِ موسى والخَضِر؛ إذ إنّ ما ظهرَ لموسى هو خرقٌ بدون رفقٍ، وظاهرهُ يؤدّي إلى الفسادِ بما سيؤولُ من حدوثِ إغراقِ أهلِ السفينة، ولهذا أنكر فِعْل الخَضِر قائلًا: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، كما أنّ لفظَ الخرقِ أنسبُ مع حالِ الخَضِر؛ فهو في ظاهره خرقٌ، وفي حقيقته عين الإصلاح؛ إذ لم يُفسد السفينة ويتلفها ويُخرجها عن الانتفاعِ بها؛ وإنّما حماها من غصبِ الملك الظالم.

سرُّ الفصلِ في قوله: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا﴾:

مُسارعة موسى لإنكارِ خَرقِ السَّفينةِ يقتضيه ظاهرُ الشَّريعة

فَصَلَ البيانُ الإلهيُّ جملة: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ عمّا قبلها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾ ولم يربطْ بينهما؛ لأنَّ الجملةَ الثّانية جاءتِ استئنافًا بيانيًّا مبنيًّا على سؤالٍ مُقدّر نشَأ عنها ممّا قبلها؛ وذلك أنّه بعد أنْ خرقَ الخَضِرُ السفينةَ كأنَّه قيل: فماذا كان تصرُّفُ موسى؟ فقيل: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؛ أيّ أنكرَ فعلَ الخَضِرِ لما في ظاهرِه من الفسادِ بإتلافِ المالِ المُفضي إلى فسادٍ أكبر منه بإهلاكِ النُّفوس[4].

دلالةُ الاستفهامِ في قوله تعالى ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾:

الإنْكارُ المُعلّل من موسى للعدوان على الأبرياء مبرّرٌ ظاهرًا

جاء حرفُ الاستفهام في قوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ للإنكارِ على الرَّجل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (فسد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرق).
(4) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 111.

الصّالح لما قامَ به من خرقِ السفينة[1]، ومحلُّ الإنكارِ هو العلّة بقوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؛ لأنَّ العلَّةَ ملازمةٌ للفعلِ المستَفهَم عنه، ولذلك تَوَجَّهَ أنْ يُغَيِّرَ موسى عليه السلام هذا المُنكرَ في ظاهرِ الأمر؛ لأنّه عدوانٌ ظاهر على الأبرياء، لا مبرّر له، ولا عُذرَ لمُرتكِبه[2].

دلالةُ اللّام في قوله ﴿لِتُغْرِقَ﴾:

بين بيانِ عاقبةِ خَـرقِ السّفينة وتعليلِ إنكارِ موسى

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ لامُ العاقبة والصَّيرورة؛ أيْ: أخرقتها لتؤدّيَ عاقبةُ هذا الأمرِ إلى غرقِ أهلها؛ بناءً على أنَّ موسى عليه السلام حسَّن الظنَّ بالخَضِر[3]؛ لأنَّ موسى عَلِم أنَّ الخضِرَ لم يقْصِدْ إغراقَ أهلِ السّفينة[4]؛ لأنَّه لو أرادَ أنْ يُغرقَ أهلها لكان أوَّل مَن سيغرق هو وموسى، أو هي لامُ التّعليل[5]؛ لكونه الأنسبَ لمقامِ الإنكار[6].

معنى اللّام و(قد) في قوله ﴿لَقَدْ﴾:

توالي المؤكّداتِ مبالغةٌ في إنكار مـــوسى عـلى الخَضِر

لام ﴿لَقَدْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا﴾ هي الموطِّئة لجواب قَسمٍ مُقدَّرٍ، والتَّقدير: (واللّه لقدْ جئتَ شيئًا إمرًا)، وهي لامٌ تفيد التّوكيد، ويجوزُ أنْ تكونَ لامَ الابتداء، وهي لامٌ تفيد تأكيد القَسَم، ويكثرُ دخولها في صدرِ الكلام، فلذلك قيل لها: لام الابتداء[7]، وفائدةُ اللّام على الوجهيْن تأكيدُ كلام سيدنا موسى واعتراضه على خرقِ السَّفينة[8].

و(قد) حرفٌ أفاد التّأكيد للمُخبَر به؛ لأنّها إذا سَبقتِ الماضي قرّبته من الحال وجعلته أقربَ للتَّحقيق[9]، إذن توالي المُؤكّدات

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 16/ 446.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 654.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 316.
(4) القُشَيْري، لطائف الإشارات: 2/ 409، والقونوي وابن التَّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 132.
(5) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 12/ 535.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 316.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 396.
(8) الزَّجّاج، معاني القرآن: 1/ 186، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375.
(9) المُرادي، الجَنى الداني، ص: 255.

(القَسَم ولامه، أو لام الابتداء، وحرف قد) أفادتِ المبالغةَ من موسى عليه السلام في إنكاره على الخَضِر.

دلالة اصطفاء لفظ المجيء في سياق الآية:

التَّعبيرُ بالمَجيْء أنسبُ لما وقع من الخَضِر

عبَّر النَّصُّ القرآني بالمجيء في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا﴾، ولم يُعبّر بالإتيان مثلًا؛ لأنَّ المجيءَ أعمُّ وأَشْمَلُ من الإتيان، فهو تمامُ الإتيان، ويُعبّرُ بالمجيء كذلك عن القصدِ بالأمرِ والتدبير[1]، ويكونُ في الشَّيء الّذي فيه صعوبة وشدَّة للوصول إليه، بخلافِ التَّعبيرِ بالإتيان الذي هو مجيءٌ بسهولة[2]، وكذلك المجيءُ يُقال باعتبارِ الحصولِ[3]، وهذه المعاني تتناسبُ مع لفظ ﴿إِمْرًا﴾ الذي وردَ في الآية، وهو الشيءُ العظيمُ الشَّنيعُ العجيب، يُقال: أَمِرَ الأَمرُ؛ أيْ: كَبُرَ وكَثُرَ؛ كقولهم: استفحل الأمر[4]، وتتناسبُ أيضًا مع المقام؛ إذِ الخرقُ قد حصلَ من الخَضِرِ وانتهى، والإنكارُ من موسى على الخَضِر؛ لأنّه كان عن قصدٍ وتدبيرٍ، ولم يكنْ خطأً، كما أنّ حروفَ فعل ﴿جِئْتَ﴾ تتناسبُ في مخارجها وصفاتها مع الفعلِ العظيمِ، وحالِ موسى وما أصابه من انفعالٍ وحمية.

دلالة فعل المجيء ماضيًا في ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾:

أتى بفعل ﴿جِئْتَ﴾ بصيغة الماضي دون المضارع؛ للدِّلالة على تحقّقِ وقوعِه؛ أيْ: وقوع فعل المجيء بالشَّيء العظيم؛ وهو الخرق[5]، فما كان من الخَضِرِ من خرقٍ للسفينةِ يستوجبُ أنْ يكون فعلًا عظيمًا لأنّه يؤدي إلى إغراقِ أهلها، فناسبَ هذا إنكار موسى عليه؛ إذ إنّ موسى لن يعاتبه على شيء لم يتحقّق منه، وكذلك ناسبَ الفعل

(1) السّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: 1/ 361.
(2) الراغب، المُفردات، ص: 60.
(3) الراغب، المُفردات، ص: 212.
(4) الراغب، المُفردات، ص: 89 - 90.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 228.

الماضي ما سبقه من حرف (قد)؛ لأنَّ الفعل الماضي بعد (قد) يفيدُ تحقُّقَ الوقوع، ويُقَرِّبُ الماضي من الحال[1].

كما أنّ التعبير بالفعل الماضي هو عادةُ القرآن الكريم؛ إذ لم يردْ لفظ (المجيء) في القرآن إلا بصيغة الماضي.

معنى لفظ ﴿شَيْـًٔا﴾ وسرُّ تنكيره:

في التّنكيرِ تهويلٌ وتشنيعٌ بخرقِ السّفينةِ المُستَنْكَر

الأصلُ في لفظ (شيء) أنّه اسمُ جنسٍ يعمُّ ما يُطْلَقُ عليه[2]، ويمكن أنْ يُقال عنه: هو الّذي يصحّ أنْ يُعْلَمَ ويُخْبَرَ عنه، ويقعُ على الموجودِ والمعدوم، وقد يُطلق عند البعض على الموجودِ فقط[3]، وأمّا السّرُّ والغرضُ في تنكير ﴿شَيْـًٔا﴾ أنَّه جاء على خلاف الأصلِ في كلمةِ (شيء) الَّتي تأتي غالبًا للتَّقليل، إذ قَصدَ به هنا التهويلَ والتَّعظيمَ لهذا الفعلِ الَّذي قامَ به الخَضِرُ؛ تشنيعًا لهذا الفعل، وهو خرق السَّفينة، وكأنّه لا يمكنُ حصره، ولا يمكنُ وصف مقدارِ المنكرِ الذي قامَ به الخَضِر.

توجيه القراءات في قوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾:

تنوّعُ الخطابِ بين شدّةٍ وحُسنِ ظنٍّ في القراءتين

وردَ في قوله تعالى: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قراءاتان متواترتان: في كلمة ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بالتّاء والياء، وفي كلمة: ﴿أَهْلَهَا﴾ برفعِ اللّام ونصبها، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب وأبو جعفر ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بالتّاء، و﴿أَهْلَهَا﴾ نصبًا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿لِيَغْرَقَ﴾ بالياء مفتوحةً، و﴿أَهْلُهَا﴾ برفع اللّام على أنَّها فاعل (يَغرَق)[4].

أمّا قراءة ﴿لِتُغْرِقَ﴾ على الخطاب فقد نَسَبَ موسى ﷺ الإغراقَ إلى الخَضِر ﷺ، فانتقل موسى من الاستفهامِ إلى الاتّهام، فنسبَ

(1) المُرادي، الجَنى الدّاني، ص: 255.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 54.
(3) الرّاغب، المُفردات، ص: 471.
(4) ابن مجاهد، السبعة، ص: 395، وابن الجَزَري، النّشر: 2/ 313.

إليه قصدَ إغراقِ أهلها، وأمّا على قراءة ﴿لِيَغْرَقَ﴾؛ فقد أسندَ فعلَ الغرق للأهل، وجعلَ الغرقَ نتيجةً للخرقِ الّذي حدثَ في السَّفينة، فتكون اللّام للعاقبة، وتكون التُّهمة للخَضِرِ بالتَّسبُّبِ وليس بالمباشرة، وفيها حسنُ ظنٍّ بالخَضِر عليه السلام[1].

معنى ﴿إِمْرًا﴾ وسرُّ التّعبير بها:

في التّعبيرِ بـ(إمرًا)، بَيانٌ لاستعظام موسى عليه السلام فعل الخَضِرِ ونَكارَته واسْتِفْحالِهِ

معنى ﴿إِمْرًا﴾ في قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: شيئًا عظيمًا شنيعًا عَجَبًا مُنكَرًا[2]، وهذا يتناسبُ مع إنكارِ موسى عليه السلام لما رآه من فعلِ الخَضِرِ وخرقه للسفينةِ، وخاصّة أنّ أصحابَ السفينةِ قد حملوهما بغير نولٍ، فكان خرقها مقابلةً للإحسانِ بضدّه، وهذا لا يمكنُ أنْ يسكتَ عنه موسى وهو نبيٌّ من أولي العزم، ومقامُ الأنبياء في تغيير المنكرِ مقام شدّة وصلاح.

إضافةً إلى ذلك فإنّه لو عبّر بأحدِ المعاني السابقة (عجبًا) أو (شنيعًا) أو (عظيمًا) أو (منكرًا) لاقتصرَ عليه، ولَما شملَ المعاني الأخرى التي تضمَّنها لفظ ﴿إِمْرًا﴾، ولما تحقّقت فيه المناسبة المذكورة للسياق.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الانطلاق والذهاب:

الذهابُ هو المُضيُّ والمرور، والانطلاقُ هو سرعةُ الذّهابِ والمرور مع الاندفاع

بين لفظي (الانطلاق) و(الذهاب) تقاربٌ دلالي، إذ يُعرَّفُ الانطلاقُ بالذهاب، ومع هذا التَّقارب هناك ما يتميّز به كلّ لفظٍ عن الآخر، وإيضاحُ ذلك:

أصلُ (طلق) يَدُلُّ على التَّخْلِيَةِ والإرْسالِ[3]، والانْطِلاقُ سُرعَةُ الذَّهابِ[4]، وانطلقَ في الكلام: تدفّقَ في الحديث من غير تعثُّر[5]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 375، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 14/ 8960.
(2) الماوَردي، النُّكَت والعيون: 3/ 327.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طلق).
(4) ابن سيدَه، المُخَصَّص، وابن منظور، لسان العرب: (طلق).
(5) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طلق).

وانْطلقَ الظَّبيُ: مرَّ سَريعًا لا يلوي على شَيْء[1]، والانطلاقُ الاندفاعُ بقوَّةٍ ابتعادًا أو انبساطًا[2].

وأصلُ الذهاب، المُضيُّ والمرورُ والسّير[3]، والذّهابُ الانتقالُ من مكانٍ إلى آخر[4]، وذهبَ الشّخص: انصرفَ، وغادرَ المكان، وسارَ ومضى، وذهبَ الطيبون، ماتوا، وذهبَ الأثرُ: زالَ[5].

إذن، يتميّز لفظُ الانطلاقِ بالتخليةِ والإرسالِ والسرعةِ، والتدفّقِ والاندفاعِ بقوّة، بينما يتميّزُ لفظ الذّهابِ بمعنى المضي والسيرِ والمرورِ، والانصرافِ والمغادرةِ والانتقالِ والزّوال، فالانطلاقُ هو سُرعَةُ الذَّهابِ والمرورُ السريعُ مع الاندفاع.

الخرق والفساد:

يوجدُ تقاربٌ بين لفظي (الخرق)، (الفساد) من جهة أنّ الخرقَ فعلٌ يؤدّي إلى فساد، ولكن لكلِّ لفظٍ منهما ملامح تميّزه عن الآخر، وإيضاحُ ذلك:

الخرقُ فعلٌ يؤدّي إلى الفسادِ، والفسادُ خروجُ الشّيءِ عن حالِ الاستقامة والصلاح

أصلُ الخرقِ هو مَزْقُ الشَّيْءِ وجَوْبُهُ، والخَرْقُ نَقيضُ الرِّفْقِ[6]، والخَرْقُ أيضًا، القطعُ، والفُرجة، والشَّقُّ في الحائِطِ والثَّوْبِ وغيره[7]، والخرقُ قطعُ الشّيء على سبيلِ الفسادِ من غيرِ تدبّر ولا تفكّرٍ، ويُعبّرُ بذلك عن الحمقِ وقلّةِ الحِلمِ وعدمِ القناعة، والخرقُ: النّقبُ والثّقبُ والشّقُّ، وهو ضدّ الالتئام[8].

والفسادُ نَقيضُ الصَّلاحِ، وفَسَدَ الشيءُ، بَطَلَ واضْمَحَلّ، ويكون

(1) المعجم الوسيط: (طلق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (طلق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن سيدَه، المُحكَم: (ذهب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (ذهب).
(5) المعجم الوسيط، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طلق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خرق).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (خرق).
(8) السمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 498.

بمعنَى تَغيَّر[1]، والفَسادُ خروجُ الشيءِ عن الاعتدالِ قليلًا كان الخروجُ أو كثيرًا، ويكون في الأعيان والمعاني[2]، وفسادُ الشيء خروجُه عن حالِ استقامته وكونه مُنتفَعًا به، وذهابُ نفعه المقصود منه[3].

إذن، يتميّز الخرقُ بمعنى المزقِ والشقِّ والقطعِ والثقبِ والنقبِ، ويرتبطُ فعلُ الخرقِ مع قصدِ الفساد، بينما يتميّز لفظُ الفسادِ بمعنى البطلان والتّلفِ والتّغيُّر، وخروجُ الشيءِ عن كونه مُنْتفَعًا به؛ أي: غير صالحٍ للانتفاع.

الإمرُ والنُّكْرُ والصَّعْبُ:

تتداخلُ معاني هذه الألفاظ وتتقارب، وقد يُعرّفُ أحدها بالآخر، ويُستعملُ أحدها موضعَ الآخر، كما أنّ جميعها فيها معنى الشدّة، وبالمقابل فإنّ لكلّ لفظٍ من هذه الألفاظ ما يتميّز به عن غيره، وإيضاح ذلك:

الإمر: الأمرُ العظيمُ الشنيعُ، وقيل: المُنْكَرُ العَجيبُ، وأَمِرَ الشَّيءُ إذا اشتدَّ وكَثُرَ، وتزايدَ وعظُمَ، والأمارةُ: العلامةُ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾؛ أيْ: شيئًا عظيمًا داهيًا مُنكرًا عجبًا[4]، من قولهم: أَمِرَ الأَمرُ؛ أيْ: كَبُرَ وكَثُرَ؛ كقولهم: استفحلَ الأمر[5].

والنُّكْرُ في أصله يدلُّ على خِلافِ المَعْرِفَةِ الَّتي يَسْكُنُ إليها القَلْبُ، ونَكِرَ الشَّيْءَ وأنكَرَهُ: لم يقبَلْه قلبُه، ولم يعترفْ به لسانُهُ، فالنُّكْرُ: الدَّهْيُ، والأَمرُ الصَّعبُ الشَّديدُ[6]، ونَكُرَ الأمرُ: صعُبَ واشتدّ، وقبُحَ وكرهته النَّفس وصارَ مُنكرًا[7]، والمُنكَرُ مِنَ الأَمر: خِلافُ المَعروفِ، وكلُّ ما قَبَّحَهُ الشَّرعُ وحَرَّمَهُ وكرِهَهُ فهو مُنكَرٌ[8].

الإمـرُ الشّيءُ الشّنيعُ العجيب، والنُّكْرُ الأمرُ الخارجُ عن المألوفِ، والصّعبُ الأمرُ المُمتنعُ

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (فسد).
(2) الراغب، المفردات، ص: 636، والسمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 3/ 229.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (فسد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيديُّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (أمر).
(5) الراغب، المُفردات، ص: 89 - 90.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).
(7) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (غلم).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديُّ، تاج العروس: (نكر).

والصعبُ: خِلافُ السهلِ، والأَمرُ الصَّعبُ نَقيضُ الذَّلول، وصَعُبَ الشيءُ: اشتدّ[1]، والصَّعْبُ: العَسِرُ والأَبيُّ المُمتَنِعُ، ويُقال: عَقَبةٌ صَعْبة إذا كانت شاقَّة[2]، وصعَّبَ الأمرَ: جعله صعبًا وعسيرًا، ومسألةٌ صَعْبة: مُعقّدة[3].

إذن، يتميّز لفظُ (الإمر): بأنّه الأمرُ العظيمُ الشَّنيعُ العجيبُ الذي اشتدّ واستفحلَ وكثرَ وعظمَ؛ فكان واضحًا ظاهرًا في شناعته، والذي يأمرُ الناسُ بعضهم بعضًا بعدمِ فعله.

ويتميّز لفظ النُّكْر بأنّه الأمرُ الصعبُ الشديدُ الخارجُ عن المألوف والمعروف، والذي اشتدّ قُبْحُه فتُنكرهُ العقولُ والفِطْرةُ والشَّرائع، وتنفرُ منه النفوسُ، ولا يقبله القلبُ ولا يعترفُ به اللسان.

ويتميّز لفظُ الصّعبِ بأنّه الأمرُ المُمتنعُ الشديدُ العسيرُ الشاقّ الذي لا سهولةَ فيه، وأشدُّ هذه الألفاظ هو النُّكرُ؛ إذ هو أشدُّ من الإمرِ، والإمرُ أشدُّ من الصّعبِ.

(1) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (صعب).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والزَّبيديّ، تاج العروس: (صعب).
(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (صعب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»